حاملا لفظه الشرع على الخالق وعلى المخلوق ولا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي
إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات
كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوق إذ صفاتهم لا تنفك عن الأعراض
والأغراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته وأسمائه وكفى في هذا
قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد
إثبات ذات غير مشبهة بالذوات ولا معطلة عن الصفات وزاد هذه النكتة
الواسطي رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم
ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت
الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة كما استحال أن يكون للذات المحدثة
صفة قديمة وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة (رضي الله عنهم) وقد فسر الإمام
أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى قول هذا الزبدة بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل
على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها
مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب أنس أو دفع
نقص حصل ولا بخواطر وأغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر
وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه قال وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه
بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الإمام أبو المعالي
الجويني من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن إلى
النفي المحض فهو معطل ومن قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته
فهو موحد وما أحسن قول ذي النون المصري رضي الله عنه حقيقة التوحيد
أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة
كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما توهمته بصور فهو فالله بخلافه
وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الأخير تفسير لقوله ليس كمثله شيء

والثاني

والثاني تفسير لقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والثالث تفسير لقوله
إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ثبتنا الله وإياكم على
التوحيد والإثبات والتنزيه وجنبنا طرق الضلالة والغواية من
التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته آمين آمين

الباب الثاني
في صفة خلقه الكريم صلى الله عليه وسلم

ونبات أعصابه واستواء أجزائه وما جمع الله فيه من الكمالات
اعلم رحمك الله وإياي أنه ورد في كثير من الأحاديث عن جمع من
الصحابة دخل حديث بعضهم في بعض أنه صلى الله عليه وسلم كان ربعة
من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وليس بالأبيض الأمهق
ولا بالآدم أزهر اللون وفي رواية أبيض مشرب بحمرة وشبها قسيما
في عينيه دعج وفي أشفارها عطف وقيل أكحل أهدب الأشفار أزج
الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى أفلج
أشنب سهل الخدين مدور الوجه واسع الجبين ظاهر الوضاءة معتدل
الأجزاء مشرح الظهر ولا تكلثم كث اللحية متلاصقة عظيم الهامة
رجل الشعر كأنه مشط فكسر ولا يبلغ مرة إلى منكبيه ومرة إلى
أصول أذنيه ومرة إلى [illegible] ليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة
بيضاء نوار يعلو الدهن في صوته صحل وفي عنقه سطع كأنه جيد دمية
في صفاء الفضة بادنا متماسكا ويفتر عن مثل سنا البرق أو عن مثل حب الغمام
يخرج النور من بين ثناياه إذا تكلم مثلا لا وجهه [illegible]
وإن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاه
من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر